ومن الخطأ ترك البحث عند أول صعوبة تواجه الباحث؛ ليبدأ فى بحث جديد قد يكون أكثر إثارة من سابقة؛ لأن البحث الجديد غالبًا ما ينتهى إلى نفس مصير البحث الأول. وفى المقابل .. يجب عدم الاستمرار فى البحث إلى ما لا نهاية أملا فى الوصول إلى نتائج مرضية؛ فيتعين أن نُحدد على وجه الدقة متى يجب التوقف عن هذه الدراسة، أو على الأقل تأجيلها إلى حين توفر إمكانات أفضل تسمح بالاقتراب من المشكلة بصورة أفضل.

ويجب على الباحث المحافظة على رغبته فى إجراء الدراسة؛ بحيث تسيطر المشكلة التى يدرسها على تفكيره حتى فى غير أوقات العمل الرسمية. وإذا طرأت فكرة جديدة على ذهن الباحث يجب عليه كتابتها فى الحال وبالتفصيل؛ فقد يحتاج إليها مستقبلاً، وخاصة أن هذه الأفكار غالبًا ما تخفى بنفس السرعة التى تطرأ بها على الذهن (عن Wilson ١٩٥٢، و Salmon & Hanson ١٩٦٤، و Thompson ١٩٦٥).

الاطلاع على الدراسات السابقة

يتعين على الباحث – الذى يرغب فى بدء مشروع بحثى فى مجال جديد بالنسبة له – أن يقوم بالاطلاع على الدراسات السابقة التى أجريت فى نفس المجال، والتى تعد أساسًا للموضوع البحثى المقترح، وبغير ذلك تكون محاولات الباحث ضربًا من التخبط الذى يقوده حتمًا إلى تكرار ما سبق أن توصل إليه آخرون، مع احتمال تعرضه لنفس الأخطاء التى تعرضوا لها من قبل، دون أن تتاح له الفرصة لإضافة أو ابتكار أى جديد فى هذا المجال.

بداية .. يتعين على الباحث القراءة العامة عن موضوع الدراسة فى الكتب، أو فى فصول الكتب التى تتناولها، مع التركيز على الحديث منها. وتكون تلك القراءة بمثابة القاعدة الأساسية لفهم الموضوع، والتى ينطلق منها الباحث إلى الدراسات الأكثر تعمقا.

وتكون الخطوة التالية هى البحث عن مقالات استعراض الدراسات السابقة (مقالات المراجعات) Review Papers المهتمة بالموضوع، وقراءتها قراءة متأنية؛ للإلمام بدقائق الموضوع، وتحديد بعض مراجعة الأساسية.

ويلى ذلك الحصول على مستخلصات البحوث المنشورة فى مجال الدراسة والمجالات المرتبطة بها بإحدى وسيلتين كما يلى:

١ – عن طريق شبكات المعلومات المتاحة بالإنترنت، والتى قد توفرها المكتبات العلمية، وهى طريقة سهلة وسريعة، ويتوقف نجاحها فى توفير البحوث المطلوبة على الاختيار السليم للكلمات المفتاحية التى يجرى البحث فى شبكة المعلومات على أساسها. توفر غالبية شبكات المعلومات مستخلصات البحوث دون مقابل مادى، ولكن الحصول على البحوث الكاملة يتطلب – فى معظم الشبكات – أن يكون مُستعمِل الشبكة مشتركًا فيها.

٢ – وأما الوسيلة الأخرى لمراجعة الدراسات السابقة فهى البحث الشخصى فى دوريات مستخلصات البحوث Abstracting Periodicals الوثيقة الصلة بالموضوع. ومن أهم مزايا تلك الطريقة أن الباحث يطّلع بنفسه على جميع جوانب الموضوع، وربما تعرف على جوانب جديدة كانت خافية عليه. يجب أن يبدأ البحث من آخر عدد، مع العودة إلى السنوات السابقة، إلى أن يطمئن الباحث إلى تغطيته للموضوع بشكل مرض، أو إلى أن يصل إلى سنة يكون ما سبقها من بحوث منشورة قد غُطّى بشكل جيد فى أحد الكتب الخاصة بالموضوع.

ولكى يكون البحث فى دوريات مستخلصات البحوث مجديًا يتعين مراعاة ما يلى:

أ – تحديد المعلومات التى يُرغب فى تجميعها ... ويتم ذلك من خلال عمل مخطط تمهيدى للموضوع. وكثيرًا ما يتطلب الأمر تجميع معلومات عن تأثير معاملات مماثلة لمعاملات الدراسة على محاصيل أخرى قريبة من المحصول الذى يُراد دراسته، إن لم تكن قد أجريت على المحصول المطلوب دراسات كافية.

ب – إعداد مجموعة من الكلمات المفتاحية التى يتم البحث تحتها فى فهارس الموضوعات بدوريات المستخلصات.

جـ – يجب الاحتفاظ بقائمة الكلمات المفتاحية التى يتم البحث تحتها، مع تسجيل مجلدات وأعداد الدوريات التى تكتمل مراجعتها.

د – يبدأ البحث فى دوريات المستخلصات – كما أسلفنا – بأحدث الأعداد، ثم

التالية لها فى القِدَم ... وهكذا. ويقوم الباحث أثناء ذلك بعمل نسخ تصويرية من جميع الصفحات التى تحتوى على مستخلصات مطلوبة، مع نقل اسم الدورية، ورقم المجلد، وسنة نشره، إن لم تتوفر هذه البيانات فى الصفحات التى يتم تصويرها.

ومع توفر دوريات المستخلصات – ذاتها – على الشبكة العالمية العنكبوتية (الإنترنت)، أصبح من الممكن – عن طريق الجهات البحثية المشتركة فى خدمات تلك الدوريات – الحصول على المستخلصات المطلوبة بيسر وسهوله.

تكون الخطوة التالية بعد الحصول على مستخلصات الدراسات السابقة (سواء أحُصل عليها من خلال شبكات المعلومات، أم عن طريق دوريات المستخلصات) الرجوع إلى البحوث الأصلية لتلك المستخلصات فى المجلات العلمية التى نُشرت فيها. وتعد هذه الخطوة هامة وضرورية؛ لأن المستخلصات لا تحتوى على كل ما يتعين على الباحث معرفته عن تلك البحوث، التى تحتوى دائمًا على معلومات هامة لا تتوفر فى المستخلصات.

ينبغى أن تشمل هذه الخطوة جميع المستخلصات التى جمعها الباحث. وإن تعذر ذلك فليس أقل من أن تشمل جميع البحوث الهامة التى تبنى عليها الدراسة المقترحة.

ويجب أن تتضمن هذه الخطوة – كذلك – مراجعة الأعداد الأخيرة من أهم المجلات العلمية – التى يمكن أن تتناول موضوع الدراسة – للتعرف على البحوث الهامة الحديثة التى لم تظهر بعد فى دوريات المستخلصات.

ومع استعراض هذه البحوث فى مصادرها الأصلية يتعين على الباحث إلقاء نظرة على قائمة مراجع كل بحث منها؛ لتحديد البحوث الهامة التى سقطت من الحصر لأى سبب كان، والرجوع إليها فى مصادرها الأصلية كذلك.

ونظرًا لأن الباحث ربما لا يجد فى المكتبات المتاحة له بعض الدوريات العلمية أو الأعداد المطلوبة منها .. فمن المناسب – فى حالات كهذه – طلب البحوث الأصلية من مؤلفيها برسائل شخصية (ورقية عادية أو إليكترونية وهى الأكثر استخدامًا فى الوقت الحاضر). أو باستعمال (كارت) بريدى – يقوم بإعداده لهذا الغرض – ويعرف بـ "كارت طلب مستنسخات البحوث".

ومع انتهاء هذا الحصر يكون الباحث قد تعرف على أهم الدوريات التى تنشر بحوثًا فى موضوع الدراسة المقترح، والجهات التى تجرى فيها هذه الدراسات، وأهم الباحثين المشتغلين بها. وبعد ذلك يمكن أن تبدأ الاتصالات الشخصية مع المهتمين بهذا الوضوع، للاستفسار عن بعض الأمور، أو لمناقشة أحدث الاتجاهات.

وتفيد مراجعة الفصل الخامس: "صور النشر العلمى" فى كيفية حصر الدراسات السابقة والإطلاع عليها بصورة كاملة.

نظم تصنيف رصيد المكتبات

إن الإطلاع على الدراسات السابقة يتطلب من الباحث قضاء جانب كبير من وقته فى المكتبات، مع التنقل فيما بينها لمطالعة الكتب والدوريات التى يرغب فى قراءتها، والتى ربما لا تتوفر جميعا فى مكتبة واحدة، ولذا .. يتعين على الباحث الإلمام بنظم تصنيف مقتنيات أو رصيد المكتبات Library Holdings، ليتمكن من العثور على مختلف المراجع التى يريدها بأقل جهد ممكن.

وبرغم تباين المكتبات فى نظم تصنيف مقتنياتها، إلا أنه يوجد نظامان رئيسيان، نوجزهما فيما يلى (عن مبارك ١٩٩٢):

١ - نظام ديوى العشرى Dewey Decimal System:

تُقسم المقتنيات فى هذا النظام تحت عشرة أقسام divisions رئيسية، تأخذ أرقامًا تتراوح بين 000 و 999 على النحو التالى:

رقم التصنيف	الموضوع
000-099	أعمال هامة general works
100-199	فلسفة philosophy
200-299	دين religion
300-399	اجتماع sociology
400-499	لغات philology
500-599	علوم أساسية pure science